السيرة النبوية

بشـــرح المهنـــدس عـــلاء حامـــد

المحاضرة السابعة

أجمل قصة زواج

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:
أهلًا ومرحبًا بكم في اللقاء السابع من لقاءات هذه السلسلة المباركة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ما زلنا مع سيرة النبي ﷺ، ما زلنا نناقش هذه المقدمة، إحنا لسه معملناش أي حاجة، لسه لم تبدأ السيرة الحقيقية بعد وإنما ما زلنا في المرحلة الأولى من حياة النبي ﷺ قبل البعثة، تكلمنا على المولد، تكلمنا على الأحداث الـ حصلت في أول نشأته ﷺ، واتفقنا إن هنناقش مراحل محددة جدًا في حياة النبي ﷺ في الأول هي كافية لرصد كيف ربى الله تعالى نبيه ﷺ، وقدر له من المقادير ما كان مؤثر في تأسيس هذه الشخصية الفريدة، وإن كان لم يكن هناك تأريخ، كما قلنا عند العرب قبل البعث فمكنوش بيهتموا بالتأريخ أوي، لكن ما ورد أو ما سُجل من هذه الأحداث كان كافيًا لرسم صورة ذهنية عن مُجمل حياة النبي ﷺ قبل البعثة، وقلنا إننا منعرفش من هذه الأحداث إلا تقريبًا تسعة أو عشرة أحداث ممكن إنها تحصر في أعوام معينة، حتى الأحداث ترصد بالأعوام يعني لما كان عمره كذا.. أو عمره كذا..؛ لأن أصلًا مفيش حاجة بيتأرخ بها، العرب أحيانًا تؤرخ بعام الفيل تقول قبل عام الفيل.. بعد عام الفيل، ده بالنسبة لهم علشان دي علامة مميزة بس.
وبعد كده بدأ التأريخ بالبعثة، وبعد كده التأريخ بالهجرة، قبل البعثة وبعد البعثة، وبعد كده قبل الهجرة وبعد الهجرة، بقت دي علامات فاصلة في الزمان، لكن قبل البعثة العرب لم يكن لهم شأن بالنسبة لهم، فمفيش تأريخ مهتمين به أوي؛ فعشان كده تجد خلافات كثيرة في التأريخ الـ قبل البعث، حتى مولد النبي ﷺ فيه خلاف كبير، وكل حدث من الأحداث يقول لك مثلًا

حدث في رجب، أو قيل ذي القعدة، فتلاقي دائمًا مفيش دقة، لكن إجمالًا الأحداث ثابتة عن النبي ﷺ.

قلنا عندنا كذا محطة:

1. الولادة.
2. وهو عنده سنتين.
3. وهو عنده 4.
4. وهو عنده 6.
5. وهو عنده 8.
6. وهو عنده 10.
7. وهو عنده 12.
8. وهو عنده 20.
9. وهو عنده 25.
10. وهو عنده 35.

وبعد كده 40 الـ هي البعثة.

1- الولادة: طبعًا اتفقنا عليها، وبعد كده انتقاله للرضاعة في بني سعد.

2- سن السنتين ممكن نقول حدثين حصلوا:

- احتمالية أن يكون شق الصدر في سن سنين على قول البعض، وإن كان الراجح أن شق الصدر كان في سن الرابعة.
- الحدث الثاني إن حليمة السعدية فاوضت الأم عشان تسيبه شوية يقعد معاها؛ لإن المفروض بعد سنتين يرجع دول الرضاعة، ففاوضت الأم إن هو يفضل معهم تاني، وجادلتها كثيرًا؛ حتى وافقت أن يكمل معهم.

3- بعد كده حصلت حادثة شق الصدر على الصحيح إنها في سن الرابعة وشرحناها المرة الـ فاتت.

4- وبعد كده في سن ست سنوات ماتت الأم، وانتقل طبعًا إلى كفالة جده عبدالمطلب.

5- وبعد كده في سن ثماني سنوات مات الجد، وانتقل بوصاية الجد عبدالمطلب إلى كفالة أبى طالب، وظل أبو طالب يحوط النبي ﷺ أربعين سنة من هذا الوقت منذ كان عمره ثمان سنوات إلى أن كان عمره تقريبًا حوالي 47 أو 48 سنة لما مات أبو طالب، 40 سنة يحاوطه ويرعاه ويحميه لكن للأسف مات على ملة عبدالمطلب في النهاية.

وهذا من قوله تعالى:

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ}

هذه الحالة الإيوائية التي حصلت للنبي ﷺ لم تكن في اليُتم فقط، يعني لا يتصور الإنسان قوله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ} أن هذه الإيواء كانت في حال اليتم ومجرد ما بلغ انتهى الأمر!

النبي ﷺ كان في حالة من الإيواء الدائم ما يعني مرت عليه مرحلة إلا وكان في حالة إيواء: من الأم إلى الجد، من الجد إلى العم، بعد وفاة العم على طول حصلت رحلة الإسراء والمعراج، بعديها على طول حصل بيعة العقبة الأولى، بعدها بيعة العقبة الثانية، انتقل إلى إيواء الأنصار -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وظل على هذه الحماية والرعاية من الأنصار إلى أن لقي الله، وفوق كل ذلك حماية الله -سبحانه تعالى- له فأنزل عليه وهو في المدينة {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}، فكان الإيواء الرباني والحماية الربانية للنبي ﷺ، فالخلاصة أن الإيواء ده كانت حالة مستمرة.

بعد كده قلنا انتقل إلى أبي طالب في سن ثماني سنوات، وبعد كده بدأ النبي ﷺ يعمل في رعي الأغنام زي ما قلنا المرة الـ فاتت.

6- في سن 12 بدأ أبو طالب عشان يعوّده يطلع بره ويأهله للتجارة خده معه رحلة للشام، الرحلة اللي لَقِي فيها بحيرة الراهب، ودي قلناها المرة الـ فاتت، وتوقفنا عند هذه المرحلة الـ هي سن 12.

7- التاريخ ما بين 12 / 20 مش واضح أوي اللي حصل فيه، لكن حصل حدث جلل في سن العشرين وهو مشاركة النبي ﷺ فيما يعرف بحرب الفِجَار، حرب الفِجَار مش الفُجَّار، الفِجَار الـ هي من الفجور؛ لأن الناس فجرت فعلًا، يعني عملوا حاجة غلط، إيه هي الحاجة الغلط خالص الـ عملها العرب؟
إن هم تقاتلوا في الشهر الحرام، حصل بينهم قتال في الشهر الحرام، وفي خلاف في حرب الفِجَار هي في رجب ولا في ذي القعدة، لما كان عمر النبي ﷺ عشرين سنة، أو تقدر تقول عشرين عام من بعد عام الفيل وده التاريخ المتاح دلوقتي..

هل كان في رجب أو في ذي القاعدة؟

على خلاف، المهم إنه في شهر خلاف، والأشهر حرام أربعة:
(ذي القعدة، وذي الحجة، محرم، رجب)، تلاتة ورا بعض، وفي واحد لوحده الـ هو رجب.
أربع أشهر حُرم العرب كانوا متفقين، وده قبل الإسلام سبحان الله، ولعل ده من شرائع سابقة وصلتهم من شريعة إسماعيل أو نحو ذلك، أو كانت حاجة كويسة في العرب وأقرَّها الإسلام والله أعلم، لكن العرب كانت وما زالت تعظم الأربع أشهر دول، طبعًا الأشهر دول بالذات؛ لإنها مرتبطة بالنسك..

هو ليه ذي القاعدة وذي الحجة ومحرم؟

لإن الحج في ذي الحجة ولازم تأمين للناس الـ جاية، والناس الـ مروحة،

فلو كان ينفع يتعمل حرب في الشهور دي الحج هيتعطل كان لازم يبقى في أمان، أنت عشان توصل للحج محتاج شهر، وعشان تروح محتاج شهر زيه، فالعرب كانت تحرم القتال في محيط ذي الحجة اللي هو ذي القعدة ومحرم، وكانت تحرم رجب على اعتبار والله اعلم كان في نوع من التجارة.

الشاهد إن الأشهر دي كانت محرمة وجاء الإسلام بنفس الحكمة؛ لإن حماية موسم الحج مقصد مهم جدًا فكان تحريم القتال فيه، فالعرب كانت محرمة القتال، فحصل اعتداء، الاعتداء ده جيه منين؟

الاعتداء ده جاء من كِنانة على قيس عيلان، طبعا الـ حضر معنا محاضرة النسب هيبقى مركز وفاهم مين كنانة و مين قيس عيلان، حصل اعتداء أحد بني كنانة قتل تلات رجال من قيس عيلان، كنانة ده شخص وقيس عيلان ده شخص، المرة اللي فاتت قلنا نسب النبي ﷺ، قلنا عدنان الجد الأكبر، بعده معد، بعده نزار، بعد كده مضر...إلخ.

أحداث كتيرة في السيرة هترتبط بالرسمة الـ في المحاضرة التالتة الـ شرحنا فيها نسب النبي ﷺ، أي حد فاتته المحاضرة دي لازم يسمعها ويكتب، أو ينزل رسمة من على النت، بس لو رسمتها بإيدك هتفرق معك كتير؛ عشان لما أقول لك مثلًا ليه قيس عيلان لما كنانة اعتدت عليهم قامت حرب؟ لإن دي سكة ودي سكة.

تعالى نشرح:

قولنا: عدنان، معد، نزار، مضر...إلخ.

أبناء مضر: إلياس، وقيس عيلان.

يعني من بعد مضر حصل فصل بين إلياس والناحية التانية قيس عيلان، وإلياس هيبقى بعد كده فيه كنانة وفيه قريش وفيه هاشم وكل الدنيا تحت إلياس، قيس عيلان دي سكة تانية، إحنا بنتكلم في الجد رقم 17 للنبي هو إلياس، يعني العرب حتى دي فارقة معهم!

يعني أنت واحد من كنانة، وكنانة ده من مضر، قيس عيلان دي سكة تانية، فلما يعتدي واحد من كنانة الـ هو من أحفاد مضر وقيس عيلان أخو إلياس يبقى الموضوع بيكبر عشان إحنا مش سكة واحدة.

دايمًا في أحداث كتير هتلاقيها في السيرة مرتبطة بالعائلات، العرب عندها النسب ده موضوع كبير أوي، فبالتالي لازم تفهم لما أقول لك قيس عيلان متبقاش تايه، قيس عيلان جاي لنا من فوق خالص، خناقتهم مش مع قيس عيلان نفسه هو مات من زمان أكيد، بس من قيس عيلان سكة، وكنانة سكة، كنانة أيضا مات من زمان، بس هم عندهم دي سكة ودي سكة، فلما ده ييجي على ده؛ يتحزب كل من كان من نسل قيس على كل من كان من نسل كنانة الـ هو من مضر، وبالتالي كنانة لما اعتدى على قيس عيلان بقى سكتين اعتدوا على بعض، فكل الـ من ناحية قيس عيلان هيتحزب لهم، وكل الـ من ناحية كنانة هيتحزب لهم، ومين هيدخل في الزحمة دي؟ بنو هاشم، وهيدخل فيها النبي ﷺ، وهيدخل فيها أعمام النبي ﷺ، وهي دي المشكلة، المعركة أصلًا حصلت بين كنانة وقيس عيلان، واحد من كنانة قتل تلاتة من قيس عيلان، فقامت حرب شديدة، وبدأت خارج الحرم، وكان يقال أن الظفر في أول الأمر كان لقيس عيلان على كنانة، وفي منتصف النهار تفوقت كنانة على قيس عيلان.

لكن المشكلة إن المعركة اتطورت، لدرجة إن كنانة لما المعركة شدت بدأوا يرجعوا ناحية الحرم، وكأنهم بيحتموا بالحرم، فقيس عيلان لم تراعى هذا الموضوع ودخلوا وكملوا معركة في عيلان؛ فاجتمع الفجر أنهم قاتلوا في الشهر الحرام وفي البلد الحرام.

هم عندهم قانون البلد الحرام في أي شهر ميترفعش فيها سلاح، الـ اتورط في المعركة دي لما المعركة دخلت جوه؟ بنو هاشم؛ لإن كنانة لها تفرعات أحد فروعها بني هاشم، الكنانة كان رقم 14، في فروع كتير تحت كنانة منها بنو هاشم، فوصلت المعركة إن قيس عيلان بدئوا يعتدوا على أي حد من بني هاشم، أنت تبع كنانة الموضوع كبر بقى أي حد كنانة هيبقى عدونا

دلوقتي، يعتدوا على أي حد، المعركة اتطورت ووصلت داخل الحرم، وكمان وصل اعتداء على بني هاشم وعلى أعمام النبي ﷺ، إحنا بره الموضوع، تعمل حرب عامة على قبائل كاملة بسبب واحد قتل منك تلاتة! فكان عندهم ردود أفعال عنيفة، ممكن تقوم حرب عشرات السنين بسبب ناقة أو بيت شعر، مواضيع صعبة جدًا.

الأوس والخزرج قامت بينهم حرب البسوس عشان ناقة ظلوا أربعين سنة بيقاتلوا بعض، فلما جاء الإسلام في وسط الطبع العنيف ده هذبه ووجهه، كان من المفاجأت الـ بتحصل في الغزوات الحاجات الرهيبة دي بتحصل في جبلتهم كان عندهم شدة وقوة، فلما ركبت مع الحق الشدة والقوة والشجاعة دي طالعة نماذج غريبة الفرس والروم كانوا بيهربوا منهم.
الشاهد إن أعمام النبي ﷺ بدأوا يدافعوا عن نفسهم إحنا هنموت وملناش دعوة بالدنيا، دخلوا في حال الدفاع بنو هاشم عمومًا، أنا أصلًا في الحرم ومش عايز أرفع السلاح، وكان النبي ﷺ في الوقت ده عنده عشرين سنة، في الرواية الـ فيها موقف النبي ﷺ من القصة دي كلها قال:

"كان يَنبُل عن أعماله".

يعني إيه ينبل عن أعمامه؟

ينبل من النبل يعني السهام، يعني كان بيحضر لهم السهام، وكان بيدافع عنهم وكان يساعدهم على عملية الدفاع دي، هو ده كان دوره في حرب الفجار عملية دفاع محض، ويدافع عن أعمامه المباشرين المظلومين اللي هو ملهوش أي علاقة بالقصة، بتتكلم كنانة إحنا بنو هاشم تبعهم بس ملناش ذنب في الـ حصل ده، فالاعتداء وصل عليهم فكان كل الـ بعمله بدافع عن نفسي.
فكان موقف النبي ﷺ من حرب الفجار هو عملية دفاع عن المظلوم، هو ده توصيف مشاركة النبي ﷺ في حرب الفجار، أصل المعركة دي ظلم

متبادل سواء الـ قتل في الأول أو رد الفعل العنيف الـ هو كان مبالغ فيه من الفعل، خلينا نقول هي خلصت علي إيه الأول قبل ما نحلل الموقف، وقفوا الحرب لما لقوا الموضوع كبر ودخلوا في الحرم والشهر الحرام بدأ العقلاء يتكلموا والحرب وقفت فعلًا، وكان الحكم إنهم يعدوا قتلى الفريقين والـ عنده زيادة التاني هيعوضه بالدية، لو مات من هنا 20 ومات من هنا 15 يبقى الـ مات من عنده 15هيدفع دية خمسة الـ هم الفرق، والباقي قصاد بعض، كان من الأول يدفع دية التلاتة كانت هتخلص، لكن الموضوع كبر أوي، اتورطوا في دية أكبر وقتل أكتر وبلا شيء؛ لما يغيب العقل تحصل مفاسد كتير .. فالشاهد أن النبي ﷺ كان ده دوره.

وأما حلف الفضول فهو عبارة عن رجل كان يُدعى "زُبيد" من اليمن، الراجل جه يتاجر في مكة عادي، فتعامل مع العاص بن وائل، كان باع له بضاعة ثم طلب ثمنها فرفض أن يعطيه فاشتكي لأقارب العاص فلم ينصفوه فغضب الرجل وطلع على جبل في مكة واخد يلقى أشعار شديدة، طبعًا ده جرح بنو هاشم، وجرح الناس الوجيهة، بنو هاشم سمعوا الكلام ده ذم في أهل مكة كلهم، قاعد بيتكلم كلام مش كويس عن الموقف الـ حصل، الموضوع جرح الناس العاقلة، الناس اللي فيها خير، الناس الكويسة، الناس الأصول، فبنو هاشم غضبوا أوي، بسبب العاص يتقال فينا كده وسمعتنا تبقى كده أنت أسأت لنا!

بنو هاشم، وبنو عبدالمطلب، وبنو أسد، وبنو عبد العزي، وزهرة ابن كلاب، وتيم بن مرة، اجتمعوا وقالوا: يا جماعة سمعتنا ومينفعش يتقال علينا كده ولازم نحط حد للموضوع ده والراجل ده لازم ياخد حقه قبل ما يمشي؛ علشان مينفعش يروح اليمن كدا، علاقتنا باليمن قوية، وكمان العرب عندهم مروءة، إزاي واحد يستنصر بنا ويستنجد بنا ونخذله!

وبالفعل اجتمعوا وذهبوا جميعًا إلى العاصي بن وائل، واخدوا الحق منه وادوه للراجل من زبيد، المهم إن الموضوع ده ترتب عليه حِلف، يعني

الموضوع ده مش موقف وهيعدى، لا ده إحنا نتحالف من الآن المجموعة دي كلها اللي راحت لعاصي بن وائل هنعمل حلف وهنقعد في دار عبدالله بن جدعان، وعبدالله بن جدعان ده راجل مشهور جدًا بالمروءة والكرم، زي حاتم الطائي كده حد مشهور قوي في العرب، عبدالله بن جدعان كان مات كافر بردو للأسف، لكن كان كريمًا جدًا وكان رجل عنده مروءة عالية جدًا، فطبعًا كان أنسب مكان الحلف ده دار عبدالله بن جدعان، واجتمع نفس المجموعة دي: بنو زهرة، وبنو تميم، وبنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أسد.. والمجموعة دي، قالوا: إحنا نجتمع في دار عبدالله بن جدعان ونعمل حلف إن المجموعة دي تتحالف ألا يُظلم أحد في مكة، وإن أي أحد يُظلم في مكة نأتي له بحقه، حضر الحلف ده النبي ﷺ، والحلف ده كان في نفس السنة بتاعة حرب الفجار، وقيل في نفس الشهر، على خلاف إن هو حصل في ذي القعدة، فالـ قال إن حرب الفجار كانت في رجب هيقول إن ده كان بعديه بأربع أشهر، والـ هيقول إن حرب الفجار أصلا كانت في ذي القعدة فهيقول إن بينهم تقريبًا أقل من شهر، فالمهم إن هو في نفس السنة، النبي ﷺ حضر الحلف ده كان قاعد شوف عشان تعرف النبي ﷺ كان قدره إيه! من وهو عنده عشرين سنة بيحضر الحاجات التقيلة دي! عشرين سنة يا جماعة! عشرين سنة ده يعني شاب في أولى كلية دلوقتي، متخيل يعني إيه بيحضر حلف!

يعتبر ده تحالف إقليمي بالنسبة للزمن ده، يعني ده موضوع كبير أوي الموضوع مسمع في التاريخ، حتى كان قاعد فيه بنو تميم، وبنو زهرة، وبنو هاشم، وقاعد فيه النبي ﷺ، هذا رجل وجيه في قومه، يرتضوا عقله، بيرتضوا حكمته، هيفرحوا أوي لما يحكم فيهم في موضوع الكعبة زي ما أنتم عارفين.

الشاهد إن هو سنه صغير، بس فاكر حليمة قالت عليه إيه؟

كانت بتقول كان بيكبر أكثر ما بيكبر العادي، تشوفوا سنتين تقول أربع سنين، أمال لما عنده عشرين سنة اللي يشوفه يقول عليه أربعين خمسين سنة من البهاء، والحكمة، والوقار، والعقل لم يكن طائشًا ﷺ، وهنشوف آخر الدرس ده أن النبي ﷺ كان لا يسمع موسيقى، ولا يرقص، ولا يطبل، ولا يحضر حفل ماجن، ولا يعرف عنه شرب خمر، ولا زنا، ولا لمس صنم، ولا سجد لصنم، طول عمره له بهاء غير عادي ﷺ، لم يلهو مع من يلهو، عمره ما كان تافه ﷺ، عمره ما حط نفسه في تفاهه أبدًا، إنما كان يتصدر في معالى الأمور، وربنا بيحب معالي الأمور، وده من تحضير الله للنبي ﷺ إنه شخصية مميزة جدًا، كم واحد عنده عشرين سنة حضر حلف الفضول؟! لا شك أنها شخصية مميزة وفارقة عن أقرانه ﷺ.

الحاصل إن النبي ﷺ شارك في حلف الفضول ده وقال كلمة عظيمة جدًا، قال: (لقد شهدت مع عمومتي حلفًا في دار عبد الله بن جدعان، ما أحبّ أن لي به حمر النعم)، حمر جمع أحمر، النعم نوق، الناقة الحمراء أغلى أموال العرب على الإطلاق، فبيقول لو كنوز العرب كلها على إن أنا محضرش الحلف ده لا أنا أحضره تاني، فبيقول: "لو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت"، يعني لو ده كان بعد البعثة ودعيت له كنت هروح بردو، يعني أنا مروحتوش عشان كانت أيام الجاهلية لو بعد البعثة وأنا رسول كده وقالوا لي أحضر الحلف ده كنت هحضره.

خلينا نقول هو ليه سمى حلف الفضول؟

- القول الأول: إن كلمة الفضول من الفضل يعني الإحسان والزيادة، يقول لك فلان له فضل علينا، يعني إحسان وزيادة، فيقال إن هو سُمي الفضول؛ لأن هؤلاء دخلوا في فضل من الأمر، ليه فضل من الأمر؟

إن كل دول أصلًا مكنش لهم علاقة بالعاص بن وائل نفسه، يعني الراجل راح للناس الـ تبع العاص بن وائل لم ينصفه، فالموضوع أصلًا غير ملزم لهم فهذا يعني أنهم دخلوا في فضل من الأمر؛ فسُمي حلف الفضول.

- القول التاني: إن حلف الفضول؛ لإن أول تلاتة حضروا فيه كان اسمهم الفضل: الفضل بن وداعه، والفضل بن الحارث، والفضل بن فُضالة، فحلف الفضول جمع الفضل الـ هو الشخصيات دى، ده حلف الفضول.

بعد كده بيقول لنا النبي ﷺ بدأ العمل في التجارة، كبر عدى العشرين سنة وبدأ يعمل في التجارة، والتجارة مع أبو طالب، طبعًا ده من حكمة الله - سبحانه وتعالى- إن ربنا هداه لموضوع التجارة، موضوع التجارة ده كان يستلزم سفر وعلاقات كتير، وكان مطلوب النبي ﷺ صاحب علاقات قوية، مطلوب يعرف الجزيرة كلها، كان يستلزم إن هو يسافر ويروح ويجي، وكان مطلوب إنه يحفظ الجزيرة، يحفظ الطرق، يحفظ السكك، فلو هو طلب طول عمره وشغله عبارة عن مكة بس مكنش هيبقى عنده دراية بطرقات الجزيرة، ولا يعرف القبائل؛ فبقى عنده علم كبير بسبب التجارة في الطرق، أحوال الناس، طباع الناس، دماغهم عاملة إزاي، عادات القبائل، والأنساب، عنده دراية كاملة بالموضوع ده، وده هنشوفه في صلح الحديبية، لما الناس يقولوا المفوضين اللي هيبعت لهم قريش، يقول لك ده من قبيلة كذا.. ده بيحب كذا.. ده بيحب كذا.. الله! أنت عرفت كل الكلام ده منين؟ من أيام التجارة حافظ الأنساب، وعارف القصص دي كلها فدي حاجة مهمة جدًا.
قعد شغال في التجارة كده شوية وبدأ صيته يسمع، ويشتهر ﷺ بالأمانة، والصدق، والكلام يشتهر بسرعة جدًا، البركة الـ بتحصل بسببه ﷺ بانت، يعني تجارته دايمًا رابحة ﷺ.

طبعا كان أشهر شخصية تعتبر رائدة أعمال هي كانت السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها وأرضاها-، كانت سيدة أعمال مشهورة جدًا في مكة، كان لها تجارة رائجة جدًا، لدرجة إن أبو طالب اقترح على النبي ﷺ إنه يروح يعرض نفسه على خديجة -رضي الله عنها- للعمل، فلم يفعل ذلك ﷺ، لكن خديجة عرفت إن أبو طالب قال القصة دي ففهمت إن هو كده أذن بذلك، فإيه اللي مخليها مش بتطلبه؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان شغال مع أبي طالب

فهي عرفت إن أبو طالب نفسه اقترح عليه إنه يروح يشتغل معها، فلقيتها فرصة سانحة فراحت على طول أرسلت له من يعرض عليه أن يعمل معها بضعف أجر الشخص الـ يعمل معه، يعني لو أنا معي واحد بيشتغل بعشرة أنت هتاخد عشرين، ده أول عرض، تخيل أول عرض في الموضوع أنت تاخد ضعف المرتب، معنى كده هذا الشخص مش ممكن حد يفرط فيه!

يعني أنت أي رقم هتحطه هتاخده، الشخصية طبعًا مبهرة ﷺ أدب، وأخلاق، وسلوك، طبعًا أنت متخيل أصلًا السمعة عاملة إزاي؟! إن حد يبقى معك أصلًا يعمل معك في تجارة بالسمعة دي، وبالمهارة دي، وبالبركة دي، وبالتاريخ ده، وبالنسب ده، ده واحد يحط الرقم الـ هو عايزه.

فخديجة أول ما عرفت بإذن أبو طالب؛ على طول مضيعتش لحظة، على طول راحت عرضت عليه عن طريق أحد الناس الـ معه، وعلى طول عرض عليه مبلغ ضخم جدًا بحيث إنه ميبقاش فيه احتمال للمخالفة أو إن هو يرفض، وفعلًا بدأ النبي ﷺ يشتغل مع السيدة خديجة في مسألة التجارة دي، وبدأ يطلع رحلاتها.

كانت خديجة لها غلام اسمه ميسرة، ده كان الدراع اليمين، كان بيطلع رحلات، ويقول لها الأخبار، ويحكى لها اللي حصل، ده العين بتاعتها على تجارتها دايمًا، لما طلع مع النبي ﷺ في أحد الرحلات، طبعًا ميسرة حصل له حالة من الذهول والانبهار التام، أول مرة يطلع معه شاف حاجات غريبة

غير البركة، غير الخير، غير كل حاجة، عشان أحوال بقى مفاجأت، مثلًا عدوا على راهب في إحدى الرحلات فسمع الراهب بيشهد له بالرسالة، فبيقول له: مين ده؟ قال له ده فلان بن فلان.

قعد يسأله شوية، فقال له: هذا رسول رب العالمين، ميسرة طبعًا مش مستوعب إيه اللي بيتقال ده!

حصلت حاجات كتيرة غريبة في الرحلة، النبي ﷺ كان في أحد المرات في البيع والشراء كان في راجل عايز يحلفه وقاله احلف باللات والعزى، فغضب النبي ﷺ، وقال: والله لا احلف بهما أبدًا، والله ما أبغض أكثر من اللات والعزى.

فقال الرجل: لقد صدقت كلامك، قال له من غير ما تحلف أنت كونك قلت الكلمتين دول ده دليل عندي إنك راجل كويس، فأنا لا أحترم من يعبد اللات و العزى، صدقه فعلًا عشان قال الكلمتين دول: والله ما احلف بهم أبدًا!

ميسرة شهد الأحوال دي، وشهد القرائن، والعقيدة، والسلوك، والأخلاق، شاف طبعًا حاجات كتيرة يمكن موصلتلناش، رجع إلى خديجة طبعًا وحكى كل رحلة بيحكي لها إبهار، فضلًا عن المكاسب الهائلة الـ بتطلع في كل رحلة الغير التقليدية، الغير معتادة، الغير طبيعية، الـ بيرجع بها النبي ﷺ من كل رحلة، خديجة كانت تتشوف أن تتزوج من رجل عظيم؛ لإنها امرأة عظيمة، وكانت تتوسم أن تتزوج رجل له شأن، مع الأخبار دي توسمت أن هذا الرجل له شأن عظيم.

وبالتالي حتى خديجة لما النبي ﷺ نفسه في يوم البعثة رجع لها زمليني وحكى لها الـ حصل متخضتش، كانت متوقعة حاجة زي كده، هى من زمان متوسمة إن في حاجة لازم هتحصل، هذا الرجل سيكون له شأن، إزاي؟ هي لسه مش مستوعبة، بس سمعت ما هو بحيرة الراهب بعت رسالة قبل كده، وميسرة سمع كلام في كلام بيتقال من زمان محدش يستوعبه، الآن لما جه الموضوع مبقاش مفاجئ، خديجة متفاجأتش، مسألتش إيه الرسالة ويعني إيه جبريل، الكلام ده مكانش مفاجئ بالنسبة

لها، فهي امرأة كانت تتوسم رجل عظيم، فطبعًا مفيش مقارنة بين النبي ﷺ وبين أي أحد في مكة في ذلك الوقت، فرق هائل، فلم تبالي بفرق سن، ولا مكانة مادية، ولا تبالى بأي شيء، وإنما أرادت أن تفوز بالزواج من محمد ﷺ.

إزاي خديجة -رضي الله عنها- تعمل كده؟

عملت كده بطريقة شديدة الرُّقي والاحترام، كان لها صديقة اسمها نفيسة، خد بالك دى واحدة عندها أربعين سنة، في العادة صديقاتها في نفس العمر ناس كبار، والسيدة خديجة أصلًا كانت متجوزة اتنين قبل النبي ﷺ، كان رجل يُدعى عتيق بن عائذ ده الـ اتجوزته الأول، وانجبت منه ولد وبنت، واتجوزت بعديه أبو هالة التميمي، وانجبت منه ولدين وبنت، لما النبي ﷺ اتجوزها كان يكفل أولاد خديجة وكانوا عايشين معه في البيت عادي، وبعد كده خديجة نفسها انجبت للنبي ﷺ ستة من الأولاد، اثنين من ذكور وأربعة من بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، والقاسم، وعبدالله.

وعبدالله اختلف فيه هل عبدالله هو الطيب ولا عبدالله غير الطيب، الراجح إن هم اتنين، وبعد كده إبراهيم كان من مارية القبطية، كل دول كانوا مع النبي ﷺ كان بيكفلهم، وكان أولادها زي أولاده ﷺ.

الحاصل يعني إنها أرسلت إليه صديقتها نفيسة، عرضت على النبي ﷺ الزواج، خلينا نسمع كلامها لما راحت للنبي ﷺ، فقالت له: يا محمد ما يمنعك من الزواج؟

فقال ﷺ: ما بيدي أن اتزوج -يعني ما عندي مال اتزوج به-، فقالت له نفيسة: فإن كُفيت ذلك -يعني زواج لن يكلفك شيئًا-، ودُعيت إلى الجمال، والمال، والشرف، والكفاءة، ألا تجيب؟

عرض هائل يعني هتتزوج بلا كلفة، ويتزوج امرأة ذات مال، وجمال، وحسب، وكفاءة، حاجة لا ترفض.

فقال: مَن هي؟

قالت: خديجة.

وافق فورًا ﷺ، هذا عرض لا يُرفض، وهذه امرأة لا ترد أبدًا، فرق السن والكلام ده العرب عندهم مكنش بيتحسب، مكنش عائق زي الواقع الحديث، النبي ﷺ اتجوز عائشة بفرق سن هائل جدًا، يعني الفرق بينه وبين خديجة 15 سنة والفرق بينه وبين عائشة 42 سنة، الحاجات عندهم مكنتش بتتحسب زينا كده، متعقدش الأمور، دي أبسط ما يمكن عندهم مسألة السن، كان عندهم أهم حاجة الشرف، والجمال، والأخلاق، والديانة، والأصل، والنسب طبعًا ده نمرة واحد، إذا وجد المقومات، السن ده بالنسبة لهم مش موجود.

فطبعًا النبي ﷺ وافق فورًا، وبعد كدا تزوجها بطريقة محترمة جدًا، طبعا هو طلبها، قال لنفيسة أنا سأطلبها، فخديجة لم تتعامل مع النبي ﷺ في كل ده خالص، ولا كلمته ولا كلمها.

طبعًا هم بيتكلموا مع بعض في تجارة أصلًا، بس رغم إن ما بينهم تواصل بسبب العمل لكن هي لم تكلمه بنفسها أبدًا في الزواج، ولا هو نفسه رد عليها وكلمها في الزواج، شوف الأدب والحياء!

وإحنا كل ده بنتكلم قبل الإسلام، يعني ده مجرد أخلاق العرب بس إن محصلش التواصل المباشر ده، بس بعد كده أصل أنا بحبها وهي بتحبني، فأنا اقعد أكلمها وهي تكلمني، واقعد احكي لها عن نفسي وتحكي لي عن نفسها، وآخر حاجة في نسأل عن الأب !!!

بعد أربع سنين كلام نبتدي نسأل أنت ساكنة فين!

عندنا في مأساة في المواضيع دي.

السيدة خديجة بكل رقي جدًا ارسلت رسالة، خد بالك هل ينفع إن هي تعمل؟ لو حاجة شبه كده ينفع إن هي ترسل وسيط يعرض عليه الأمر، فإن وافق وافق، وموافقش خلاص الموضوع انتهى تمامًا، مفيش محاولات منها للتواصل وهو يحاول وهي تحاول والكلام الـ بنشوفه ده، وطبعًا ده كان مجتمع نضيف بردو، هما ناس بيعرفوا يستخدموا الأدوات صح، فأحيانا دلوقتي لما نعطي لناس صلاحيات بيستعملوها غلط، فلازم نركب الأدوات

مع ناس بتعرف تستعملها، ناس ولاد أصول فاهمين يتعاملوا إزاي بالأصول، فلما أقول هذا جائز إن امرأة تعمل كده إن هي مثلًا وجدت رجل لها كُفء تتمناه للزواج فعلًا مفيش مشكلة تسعى للزواج منه .. مش حرام، لا هي مشت معه ولا بتكلمه، ولا بتعمل حاجة غلط، ولا بتبعت له بالليل، ولا الكلام ده، وفعلًا وجدت وسيط يستطيع أن يوصل له الرسالة فلو قبل العرض تمام ولو لم يقبل خلاص، كانت محاولة وخلصت..

هل ده حرام؟

مش حرام، لكن إنها تحاول تتجمل قدامه وتغريه والجو بتاع الكليات ده إحنا مينفعش الكلام ده.

فالـ حصل إن هو بكل بساطة جدًا مجرد ما وافق انتقل الموضوع للمرحلة التانية على طول، عارفين خديجة أول ما وافق راحت قالت لعمها عمرو بن أسد، والنبي ﷺ هو نفسه مراحش لعمرو بن أسد على طول، راح لعمامه برضو، راح لأبو طالب وراح لحمزة، راح جاب الناس التقيلة كلها، قال لهم: أنا عايز أخطب خديجة، الموضوع كبير يا جماعة أنت عارف يعني إيه واحد يخطب خديجة؟!

ده الموضوع كبير أوي، في عيلة هتروح، وفعلا النبي ﷺ مراحش لوحده، ده راح ومعه أبو طالب، ومعه حمزة، وقيل وكان معه أعمامه ورؤساء مضر، كل دول عشان يخطبوا خديجة، وكل دول قاعدين مع عمرو بن أسد عم خديجة -رضي الله عنها وأرضاها-.

كلام راقي جدًا ومستوى عالي جدًا من العلاقات الراقية قبل الإسلام، الـ يشوف المنظر ده طبعًا مفيش مقارنة بينه وبين الواقع العجيب الـ إحنا عايشين فيه، إحنا عندنا عرض الزواج دلوقتي بقى الصورة الهوليودية، هو ده العرض المقبول بس؛ لإن طبعًا هو هيفضل حبها كتير أوي طبعًا، وهي بتحبه بصوا لبعض كتير أوي، وبعد كده يفاتحها بالموضوع وحب، وورد، ومشي، و واتساب بالليل، ومكالمات، وبعد ما عمل كل حاجة كالعادة 90% هيسيبها في الآخر؛ لإنه هيتجوز واحدة محترمة لم تمشي

مع ولاد، سيقول حين الجد دي بتمشي مع ولاد فهى لا تشرفني، هي طبعًا راحت كده خلاص، اتعلم عليها اسمها بتمشي مع أولاد، و لما ييجي حد تاني يخطبها يسمع أنها كانت تمشي مع شاب قبله فيرفضها

أنا آسف الكلام ده بيجرح ناس بس أنا عايز فعلًا أوصل هذا الكلام الشديد للبنات عشان هي دي الصورة الـ بتحصل، وده الـ بيوصلني في الآخر، أنا بيجي لي ولاد مش كويسين بيقول لي دور لي على عروسة، اقول له البنات كلها ماشية معاك، قال لي: أنا مش عايز البنات الـ أنا ماشي معهم، أنا عايز واحدة محترمة.

طب أنت هلكت البنات دول، وجرحتهم كلهم، فعايز أوصل الرسالة دى للبنات، هو ده اسمك عند الشباب بعد كده، 90% هيحصل كده، 10% الـ هيعرض عليها الزواج لكن للأسف لن يذهب للأب مباشرة، لازم شغل الأفلام الأجنبية، ويتقدم لها ويجيب لها خاتم وينزل ع رُكبه ويقدمه لها وبعد كده يروح ولأبوها وأبوها يرفض!أ نسيت إن في أب لازم يوافق! ما هو ده الغباء!

هذا الساذج قبل ما تبتدي وتتهور وأصلا كله حرام من أوله، أنت ممكن في الآخر بعد كل ده الأب يرفضك، هنعمل إيه بقى ساعتها حضرتك؟

خد بالك هي دي فكرة الوَلِي، وجود الوالي للمرأة هذا كرامة المرأة وحماية ليها.

بنقول القاعدة: إن الراجل ميعرفوش غير الراجل زيه، البنت ممكن أى راجل يضحك عليها، ممكن ترسم نفسك، وممكن تخبي عيوبك، وممكن تقنعها بأي حاجة، لكن لو راجل متعرفش تعمل كده خصوصًا لو راجل كبير، والد، عم، مجرد ما هيقعد معك قعدة هيعرف، هيقول لها ده مش راجل، ده مش كويس، ده مش هيصونك يا بنت الحلال.

الـ عايز أقوله إن في الإسلام أول حد بنبدأ به الوَلِي الأول، ونتأكد الأول إن أنا اتقبلت قبل ما نعمل أي حاجة، تبقى أول لقاء مع الوَلِي، ده هيفصل

كل حرام؛ لإن الولي طالما اتدخل من الأول مش هعرف أعمل حرام، المفروض لو إنسان كويس هيمنع عني المحرمات وهيبقى أنا هجبر على تواصل محترم ملتزم لغاية ما نوصل للزواج، لكن منعملش كله شمال وبعدها نفكر ندخل البيت وممكن لا تعجب بهم، وممكن العكس أنت اللى لا تعجب أبوها أو عيلتها، طب مسألتش ليه ع القصة دي قبل ما تناسب؟! ممكن هي كويسة بس كل حاجة تانية متعجبكش، وأهلك ممكن لا يوافقوا على العيلة التانية، فحتى الطريقة الشرعية مش فكرة إن هي موافقة للشرع بس، موافقة للعقل، ودي الأنجح، أنا لما بضمن الحاجات دي في الأول خلاص ما كل المشاكل اتحلت، غالبًا العلاقات المحرمة بتمشي في الحرام كتير بعد كده بيتصدموا إن في حاجات تانية كتير لازم نتأكد منها: أهلها موافقين عليا، أهلي موافقين على أهلها، العيلة تناسب العيلة، المكان، يعني حاجات كتير مهمة جدًا، مش حب بس، دي علاقة بين أسرتين لازم يبقى في توافق، النبي ﷺ مجرد بس المعلومة عايزة اتجوزها، أول خطوة عملتها خديجة: عمي في واحد جاي يتقدم لي، هو: عمامي أنا عايز اتقدم لواحدة، ما هو لازم ياخد موافقة عيلته ، عيلتي دي مهمة، هي دي المشكلة اللى بتسبب صراع بعد كده بين حبيبته وأمه، أو حبيبته وأبوه، يقولك مش موافقين عليها وأنا عايزها، طب أنت وصلت للمرحلة دي ليه؟ عشان أكيد أنت حبيتها ووصلت لمرحلة تعلق ومش عارف تعمل إيه، لا أنت قادر تطلع منها، ولا ينفع تطلع من أهلك، إنما لو من الأول خلاص بدأت بالأهل هتطلع بسهولة، هاخد رضا أهلي، وأنا لا متعلق بيها، ولا بحبها، ولا كإن في حاجة، مش مشكلة.

الـ حصل هي راحت على طول لأهلها وهو راح لأهله، هو جاب عمامه وهي جابت عمها، طبعًا لإن أبوها مات قبل حرب الفجار، خد بالك خديجة مع النبي ﷺ بيلتقوا في النسب بيلتقوا في "قُصَي"، يعني في القريب، يعني مش بعيد عن بعض، هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزيز بن قُصَي، فهم بيتقابلوا في حتة قريبة، العيلة قريبة أصلًا، فالناس جايين إحنا

عيلة واحدة يعني دول كلهم من قصي، قصي ده بعده عبد مناف على طول فمش بعيد.

فالـ عايز أقوله إن الناس اصلًا متفقين على حاجات كتير، حتى النسب قريب، فالجواز كان أسرع ما يمكن، بس أنا الـ عاجبني أوي خطبة أبو طالب لما راح للنبي ﷺ طبعًا، هو رايح ده بالنسبة له ده الولي الحقيقي، وده اللي جاي يدفع المهر، وجاي يعمل كل حاجة، ده اللي هيشيل الشيلة فجاي يعرض النبي ﷺ، عجبني أوي عرض أبو طالب للنبي ﷺ، هو كده بيقدم العريس شوف الكلام الراقي أوي لأبو طالب، فقام وقال: (الحمد لله -شوف الناس برضو كان عندهم في الجَد التوحيد أساسي-، الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع اسماعيل، وضئضئ معد، وجعلنا حضنة بيته، وسُواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجًا، وحرمًا أمنًا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن برجل إلا رجح به شرفًا، ونبلًا، وفضلًا، وعقلًا، فإن كان في المال قَل -يعنى تشوف كنوز الدنيا جنبه قليلة-، فإن المال ظل زائل، وأمرٌ حائل، محمد ممن قد عرفتم قرابته، وقد خطب إليكم راغبًا كريمتكم خديجة، وقد بدل لها من الصداق ما حكم عاجله آجله اثني عشر أوقية ونشًا -يعنى حوالى كيلو ونص فضة-، هو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطب جليل جسيم).

فكان جواب وَلِي خديجة: هذا البضع لا يُقرع أنفه -يعنى النبى ﷺ لا يُرفض-، ابو طالب مش غني، وهو الـ عايز يشيل المهر، وطبعًا خديجة تتوزن، يعنى لو اتعرض عليها كان هيجلها أكابر العرب كان هيوزنوها بمهر أكتر من مهر النبى ﷺ بكتير، يعنى فعلًا معنى رد عمها إحنا بنشترى راجل لو انحط جنب مال الدنيا يقل المال جنبه، هو الخير والبركة ﷺ، فبيقول أه المهر مش هيبقى زى ما أنتم متخيلين بس إحنا مدينكم كنز أشرف رجل في العرب، الراجل عمها لم يزد في الكلام، لا قال المهر قليل ولا

كتير، ده إحنا نتشرف بيه ، يعني ده يتدفع فيه مهر أصلًا عشان هو يقبل ﷺ إنه يتزوج، وهل في مكة من هو أشرف من محمد ﷺ!
يعني لم يتردد، بعد الخطبة دي قال كلمة واحدة وهي إن الراجل ده لا يُرفض، وتم العقد وتزوج النبى ﷺ من خديجة -رضي الله عنها وأرضاها- ، وعمل وليمة كبيرة، وكما هو معلوم لم يتزوج معها أحد حتى ماتت - رضي الله عنها وأرضاها-، الشاهد إن هذه هى مرحلة زواجه بخديجة، وكان عمره 25 سنة، وأنجبت له القاسم، وعبدالله، وفاطمة، وأم كلثوم، ورقية، وزينب.

بعد كدا كان في قضية عظيمة وهى إعادة بناء الكعبة، كدا النبى في هذه المرحلة كان 35 سنة، الـ حصل إن مكة حصل فيها سيل، ومكة وادى لما ينزل مطر كتير بيحصل سيول، فمرة حصل سيل كان عارم شوية فأثر في بناء الكعبة، وحدث تاني وهو إن كان في واحدة بتعمل بخور في الكعبة، بتشغل نار وتحط بخور فالنار مسكت في كسوة الكعبة، وحصل حريق في الكعبة، فدى مع دى حصل تصدعات كتير في جدران الكعبة، هى لسه ما اتهدتش بس مينفعش تكمل على كدا، فأخدوا قرار لازم نبنيها من جديد، وده معناها إنه هنهدمها، طبعًا كلمة نهدمها دى جت في بالهم على طول ابرهه الحبشي فخافوا، رغم إن نيتهم كانت كويسة بس كانوا خايفين من الـ حصل في ابرهه ومش ضامنين الـ هيحصل، فقالوا حد يجرب، فالوليد بن المغيرة قال لهم أنا هجرب، إحنا نيتنا كويسة، إحنا هنهدمها عشان نبنيها، فأجاب معول ونزل شوية من الكعبة، قالهم يلا نكمل، قالوا لا بكرة يعدي يوم كامل ونشوف هيحصل فيك إيه، لو محصلش فيك حاجة هنشتغل معك.
وفعلًا تاني يوم في نفس الوقت قال لهم أنا سليم ولم يحصل لي شئ فبدأت المعاول تشتغل على الكعبة هدمًا وبناءًا، فطبعًا عشان الموضوع شرف بناء الكعبة، الموضوع كبير جدًا، فاتفقوا إن القبائل تقسم هذه المهمة، بني

مخزوم، بني عدي، بني هاشم بني كذا.. كل واحد واخد جانب من الكعبة شغال عليها هدم وبناء، الـ هيهدمها وهو ده الـ هيبنيها، شغالين بنظام جدًا، وكل قبيلة كبيرة واخدة شريحة شغالة فيها كويس جدًا، بعد كدا حطوا شرط إنهم يجمعوا فلوس حلال بس، زي ما قولنا إن العرب كانوا عارفين نفسهم إن في حاجات حرام كتير، بيعملوا القمار، والميسر، وحتى الخمور كانوا عارفين إنها غلط، فقالوا لا نحط فيها فلوس قمار، ولا فلوس خمر، ولا فلوس دعارة، ولا فلوس زنا، ولا فلوس كهانة، الكعبة لا نضع فيها إلا فلوس حلال بس، فحطوا فيه الفلوس الحلال كلها بتاعتهم، فلم تكفي إن هي تبني الكعبة، تخيل!

فده يدل على المأساة الاقتصادية الـ كان فيها العرب قبل الإسلام، وحاجة العالم لبعثة نبي، تخيل فلوس عرب قريش لم تكمل أن تبني الكعبة!

فوضعوا كل الفلوس الحلال بتاعتهم ويبنوا، وفعلا حصل الكعبة الـ أنت شايفها دي الـ هي عبارة عن جزء من الكعبة مش الكعبة كاملة، الكعبة ومعها حجر إسماعيل، حجر إسماعيل ده عبارة عن تحويطة كده الـ هي إشارة إن الحتة دي من الكعبة بس لم نجد فلوس نكملها، فاحنا هنعمل له تحويطة عشان الـ بيطوف بس لا يطوف من داخل الكعبة؛ لإن أنت لو طفت داخل الحجر الطوفة لا تحسب؛ لأن الطوفة دي لم تكن حول الكعبة إنما كانت من جوه الكعبة وحاجة تانية، من يصلي داخل حجر إسماعيل كأنه صلى جوة الكعبة؛ لإن دي من الكعبة أصلًا، الكعبة الأصلية بتاعة سيدنا إبراهيم وقواعد إبراهيم كانت بالحتة اللي فيها الحجر الأسود، والركن اليماني، والجزء التاني الـ هو مكملش ناحية المقام.

فهم قعدوا يبنوا، وبعد كده قالوا الأولوية للجزء الأشرف اللي هو فيه الحجر والركن، اللي هو الجزء الجنوبي الـ فيه الحجر والركن اليماني، خلصت الفلوس هنكمل إزاي؟

قال لك خلاص نعمل علامة كده أو جدار إشارة إلى أن هذه باقي الكعبة اللي يطوف يطوف من هنا، يطوف من بره ميطوفش من جوه، عشان جوه ده جوه الكعبة، ومن ساعتها اتسمى المكان ده حجر اسماعيل، وخلاص وقف الوضع على كده فعلًا وانتهى الموضوع على كده.

وجت الأزمة المشهورة الحجر الاكده، هم نزلوها كلها على الأرض، سووها بالأرض، لدرجة إنهم وصلوا لمرحلة إنهم شافوا قواعد إبراهيم -عليه السلام-، قواعد تحت الأرض، فجاء واحد يضرب بالمعول فيها فاهتزت مكة، كانت إشارة متجيش جنب القواعد، لما حصل هزة في مكة فكلهم خافوا، قالوا ابعد عن قواعد إبراهيم، فعلًا بنوا عليها، أنت بتكسر في القواعد ليه؟! ما دي سليمة مفيهاش حاجة، ما تجيش جنب الأساس؛ لإن دى اللي بترفع عليها البيت بعد كده، فالمهم عملوا الجزء ده، ووقف على كده الكلام، تعالى نحط الحجر الأسود فضلوا يقولوا لا إحنا، لا إحنا، وقامت مشكلة كبيرة وكادت أن تقوم حرب بين العرب، عندهم أسهل حاجة الحرب، توقف البناء وقعدوا خمس أيام بيتشاوروا مين اللي هيحط الحجر ولم يصلوا إلى شيء، ثم بدأوا ينادوا على المعركة، وفعلًا بدأوا يستعدوا للقتال، أنت متخيل!
الموضوع وصل معهم لمرحلة صعبة جدًا.
تنازعوا لغاية ما جاء واحد، دايمًا في حد عاقل كده بيلحق الموقف، مين العاقل المرة دي؟ الـ اقترح الاقتراح ده حد مهم جدًا بالنسبة لنا، هو أبو أمية بن المغيرة المخزومى، متنساش الاسم ده أبو أمية بن المغيرة المخزومى من بني مخزوم.

مين أبو أمية بن المغيرة؟

ده أبو أم سلمة، أم سلمة هي زوج النبي ﷺ، اسمها هند بنت أبي أمية ابن المغيرة المخزومية، فده أصلًا والد هند أو والد أم سلمة، كان رجل عاقل

عند العرب ورأيه مقدم، فقال لهم طالما إحنا مش متفقين على حاجة ومحدش فينا راضي حكم حد، إحنا نقعد في صحن الكعبة في باب اسمه باب "بني شيبة" عندهم، بيسموه باب السلام دلوقتي، وأول حد يخش من الباب ده يرتضوا حُكمه، هم كلهم كويسين، يعني أكيد مش هيحكِّموا واحد مجنون مثلًا، هو العرب كلهم بيبقى فيهم عقل يعني، فقالوا خلاص أي حد يخش من الباب ده يحكم وخلاص، يبقى مفيش حل غير العشوائية؛ لإن أنتم مش عايزين تتفقوا على حاجة، فقعدوا كده ربنا يستر مين الـ هيدخل؟ فسبحان الله دخل النبي ﷺ، طبعًا فرحة العمر، كله فرحان سبحان الله! هو ده اللي دخل في الآخر! ده إحنا مكناش هنختار أحسن من كده سبحان الله! فكله حصل بهجة شديدة جدًا بدخول النبي ﷺ، وكله فورًا رضى به، مفيش حد اتردد ولا شك، فكان علاج وقتي مجرد مرور وجهه ﷺ حل المشكلة، مجرد بس شافوه بس حلت المشكلة، قالوا: الصادق الأمين رضينا به حكمًا، رضينا به حكمًا، النبي ﷺ 35 سنة يعنى قمة النضج، عمل حركة عايزك تدرس الموقف فيها، قال خذوا ثوبًا ونحط الحجر فيه، وكل قبيلة تمسك طرف من الثوب ويرفعوا، ويحطوا الحجر.

الموضوع مش الفكرة، الموضوع في تنفيذها وسرعة تنفيذها، الموضوع في إنه فهم دماغهم، حكمة عالية جدًا، مش قالهم حل واخد رأيهم لا ما الناس أصلا بقالها خمس أيام مختلفة، متديش فرصة يفكر، لو اديتهم فرصة يفكروا هيختلفوا تاني، لازم لما تلاقي الدنيا كده تنفذ حالًا وقتي، ومفيش رجعة ومتسيبش ثغرة، أي ثغرة هتسيبها هنبدأ تاني الصلح من الأول، فمينفعش يديهم فرصة يفكروا، ولا إن هم فرصة ياخدوا قرار تاني ولا يقيِّموا حله، هو أصلًا مش عارفين إيه اللي هيحصل لغاية آخر لحظة، هو قالهم يلا يا جماعة ارفعوا دلوقتي، حط الحجر، هم لقوا نفسهم مرة واحدة الحجر قدام المكان وهو بيحطه، خلاص مفيش فرصة تقيم الموقف، فأنت لو فكرت شوية هتلاقي إن بني هاشم هو اللي حطه، بس الموضوع خلاص، هو خد قرار سريع مباشر، قوي، حازم، حاسم، زكي جدًا، سريع

جدًا في طريقته، في نوعه، في تنفيذه، كله حاسس إن هو فعلا خد حقه، كله طالع مرضي فعلًا، ولم يأت في بالهم إنه الـ حطه..
زي ما قلنا إنه هو ﷺ نفسه فوق دائرة الحسابات بالنسبة لهم، ده أحسن واحد فينا، ده معدي الحسابات كلها، يعني مش هنركز معه إن هو الـ حطه في الآخر أو لا هو ، بس هو في الشكل أنتم كلكم الـ رفعتوه وحطيتوه، حل رائع جدًا، قمة الحكمة ﷺ، وده كان فعلًا دل على أنه تأهل ﷺ للإصلاح بين الناس.
بعد كده هيحكم في الدنيا كلها، في اليهود، وفي المنافقين، هنشوف بقى حِكم رهيبة مع النبي ﷺ في تصرفات رائعة جدًا، بيحل بها مواقف صعبة جدًا بحلول مبهرة، سريعة، ترضي الجميع، ده عادته ﷺ، وده واحد مؤهل من أيام حلف الفضول، ده عشرين سنة كان في حلف الفضول! تخيل دماغه قد إيه دلوقتي! وحكمته قد إيه دلوقتيﷺ! حل المشكلة بكل روعة، وبكل ذكاء وحكمة ﷺ.

وبعد كده بيقول لنا إن لو تابعنا سيرة النبي ﷺ عمومًا لم يؤثَر عنه إلا كل خير، لا يعرف عنه منكر قط عمله ﷺ في أيام الجاهلية، فلم يشرب خمر أبدًا، لم يسجد لصنم أبدًا، بل لم يتمسح بصنم أبدًا، كان يطوف أحيانًا بالكعبة ومعه زيد ابن حارثة، فكان فيه أصنام حوالين الكعبة، كان أحيانًا زيد يتمسح بها، فكان يزجره ويقول لا تتمسح بها، ويقول إني أكره اللات والعزى، وكان يصرح بكده ﷺ، ويربي زيد على كده، وعلي بن أبي طالب على كده..
أي حد اتربى على ايده كان يتربى على كده، لم يسجد لصنم، ما يحضر مجلس لهو، ما يعرف عنه أنه كذب كذبة واحدة، ولا خان أمانة مرة في المرات، لا يعرف عنه أنه وقع في منكر قبل الرسالة، بل هو بيحكي عن نفسه ﷺ حتى في بناء الكعبة دي حصل موقف كده، هم بيبنوا الكعبة فبيحملوا الحجارة، الناس عشان الحجارة على الكتف فكانوا أحيانًا يحط

ملابسه على كتفه، طبعًا لما يحط هدومه على كتفه بيرفع فممكن العورة تبان، فمش فارقة معهم عندهم بيتساهلوا في كده، فقالوا للنبي ﷺ: شايل على كتفك أعمل زينا عشان كتفك، فبس مجرد ما عمل كده أغمى عليه ﷺ، فعصمه الله تعالى أن تنكشف عورته حتى لهذا الغرض.

آخر حاجة بيحكي عن موقف حصل معه، حديث فيه ضعف، بس نستأنس به، قال: (ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون أبدًا -يعني الحياة الغلط عمري ما عملتها-، إلا مرتين وكل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما آمنت به حتى أكرمني برسالته، قلت ليلة لفتى من قريش بأعلى مكة في أغنام لأهلنا نرعاها: لو أبصرت لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجت، فجئت عند أول دار بمكة، سمعت عزفًا، فقلت: ما هذا؟ قالوا: عُرس فلان بفلانة، فجلست أسمع فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوتُ بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي، فقال لي: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئًا، قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممتُ بعدها بسوء قط).

فندعو الشباب إن هم لا يسمعوا الموسيقى، فإذا كان الله -سبحانه تعالى- عصمه من كل هذا حتى يخرج ﷺ مكرمًا مشرفًا، يُقال في مثله إن هو يصلح أن يكون نبي، ولا يتعجب الناس أن تكون النبوة صادرة من هذا الرجل ﷺ.

وكده تكلمنا في صناعة رب العالمين للنبي ﷺ قبل البعثة، المرة الجاية نبدأ في البعثة وفي لقائه بجبريل -عليه السلام-، جزاكم الله كل خير، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

دثرونا بدعائكم الطيب.